نظرية لوكريتيوس عن الروح

د. جمال الدين السيد أبو الوفا
كلية الآداب – جامعة المنيا

Abstract

Lucretius' Soul Theory

Lucretius' Soul Theory and his conception of it is purely diligent on his own part; his vision of it is like what is going on in his imagination, according to the Epicurean philosophy, that he adopts and calls the Romans to follow their teachings. In the third book of his poem "On the Nature of Things - De Rerum Natura" the poet tried to prove the material nature of the soul , which means that it is subject to annihilation like the body, which means that there is no account or punishment after death. Lucretius begins his argument by noting that the mind, far from being separate from the affairs of the body, has been observed to be directly affected by physical forces, and the soul cannot have any effect without a body; the effects of physical blows suffered by the body are shared in by the soul. The researcher used in this research the analytical method, as he analyzes the verses in which the poet spoke about the soul, and he compares them with their Greek sources.

ملخص البحث

إن نظرية لوكريتيوس عن الروح ورؤيته وتصوره لها هى محض اجتهاد من جانبه، فرؤيته لها بمثابة ما يدور بمخيلته، وطبقًا للفلسفة الإبيقورية التي يتبناها ويدعو الرومان إلى اتباع تعاليمها. وفى الكتاب الثالث من قصيدته التعليمية " في طبيعة الأشياء" حاول الشاعر أن يبرهن على طبيعة الروح المادية، مما يعني أنها عرضة للفناء مثل الجسد، ومما يعني أنه لا يوجد حساب أو عقاب بعد الموت؛ ويبدأ لوكريتيوس حجته بالإشارة إلى أن العقل، بعيدًا عن أن يكون منفصلًا عن شؤون

الجسد، وقد لوحظ أنه يتأثر بشكل مباشر بالقوى البدنية؛ وأن الروح لا يمكن أن يكون لها أي تأثير بدون جسد، وأن تأثيرات الضربات الجسدية التي يعانيها الجسد تتقاسمها الروح. والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي، حيث يقوم الباحث بتحليل الأبيات التي تحدث فيها الشاعر عن الروح، والبحث في مصادره الإغريقية.

مقدمة

يتناول بحثي هذا رؤية لوكريتيوس[١] للروح، تلك الرؤية التي أخذها عن الفلسفة الإبيقورية، التي رأى أنها تمثل المنهج القويم والمرشد له في الحياة، والتي اعتقد أنه عليه أن ينشرها بين بني جلدته من الرومان ليتمكنوا من العيش حياة سعيدة. وكان عليه أن يعرض ذلك المضمون الفلسفي في قالب شعري لكي يجذب إلى الفلسفة التي يعتنقها كل المثقفين الرومان، لذا كان لابد له أن يبدع لغة شعرية تعبر عن مضمونه الفلسفي، خاصة وأن قصيدته تدور حول طبيعة الأشياء التي يسهل تفسير بعضها، ويصعب تفسير بعضها الآخر. وفى الكتاب الثالث من قصيدته " في طبيعة الأشياء " *(De Rerum Natura)*، حاول الشاعر أن يشرح ويبسط للمواطن الروماني طبيعة الروح، وهي بلا شك من الأمور الصعبة في فهم طبيعتها، وعليه فقد اجتهد في وصف طبيعتها، وذلك وفقًا لتعاليم معلمه إبيقوروس.

---

(١) ولُد لوكريتيوس بين عامى٩٤ و ٩٨ ق. م فى إقليم كامبانيا وكان لديه مزرعة صغيرة. تعلم الفلسفة الإبيقورية بمدينة نابولى ثم جاء إلى روما وتوفى حوالى عام ٥٥ ق. م، ويقال إنه كان ينتمى إلى أسرة أرستقراطية تقلد بعض أفرادها مناصب رفيعة فى الدولة ، ولكنه كان مبتعدًا عن الحياة السياسية بسبب اتباعه للفلسفةالإبيقورية. وبما أنه كان شاعرًا بفطرته فقد استطاع أن يتخذ من المذهب الإبيقورى موضوعًا لقصيدة شعرية جعلته يحظى بمكانة عظيمة بين شعراء الأدب اللاتينى ألا وهى قصيدته " فى طبيعة الأشياء": *Daryn.L., Morrison. A.D., Alison. S.,(2013) Lucretius: Poetry,Philosophy, Science. Oxford University Press.p.42.*

تتكون قصيدة " في طبيعة الأشياء " من ستة كتب غير متساوية الطول: الكتاب الأول ١١١٧ بيتا، والثاني ١١٧٤، والثالث ١٠٩٤، الرابع ١٢٨٧، والخامس ١٤٥٧، والسادس ١٢٨٦. ومجمل عدد أبيات القصيدة كلها ٧٤١٩ بيتًا. يبدأ الكتاب الأول بالابتهال إلى الربة فينوس، ثم أتبعه بمدح معلمه إبيقوروس[٢] الذي صوره

(٢) إبيقوروس Ἐπίκουρος هو مؤسس الفلسفة الإبيقورية التي سُميت باسمه، وقد وُلد في ساموس عام ٣٤١ق.م لأب أثينى يدعى "نوكليس" وأم أثينية تدعى "هاريستريتي"، تعلم الفلسفة في صباه على يد أحد تلاميذ أفلاطون يُدعى"بامفيلوس". سافر إبيقوروس في الثامنة عشر من عمره إلى أثينا، وبقي هناك لمدة سنتين. وبعد وفاة الإسكندر المقدوني، وقع الأثينيون تحت حكم "بيرديكاس"، أحد قادة الإسكندر الأكبر، والذي قام بتهجير جميع الأثينيين المقيمين بساموس إلى مدينة كولوفون، مما تحتم عليه الانتقال إلى كولوفون ليلحق بأبيه، ثم عاد إلى أثينا في عهد "أناكسيرا"، حيث انشغل بالفلسفة، وتلقى تعليمه في مدينة ميتيليني اليونانية التي تقع على الساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة ليسبوس مقابل الساحل التركي، وعاد إلى أثينا عام ٣٠٦ ق.م، وأسس المدرسة الإبيقورية فى حديقته الجميلة التى اشتراها وبنى فيها منزله ومدرسته ليبدأ رحلة مشوقة مع "الحديقة " أو "حديقة إبيقور"، وهي مدرسة فلسفية أطلق عليها إبيقوروس هذا الاسم نسبة إلى حديقته. وظل يُدرس فيها طوال حياته إذ كان يقبل فى هذه المدرسة الشباب والفتيات ولايفرق بين طبقة وأخرى حتى العبيد كان يقبلهم فى المدرسة. وكان إبيقوروس بشوش الوجة لا تكاد البسمة تفارق وجهه ، وتتلمذ على يد إبيقوروس الكثيرون. وعلى الرغم من تأثر إبيقوروس بأسلافه المفكرين الأقدم منه، على وجه الخصوص الفيلسوف ديموقريطوس، إلا أنه ادعى أنه علم نفسه ذاتياً. ولإبيقوروس العديد من المؤلفات والتى بلغت حوالى٣٠٠ كتاب كانت من خالص فكره، وأشهرها "في الطبيعة"(سبعة وثلاثون كتاباً)، لم يصلنا منها إلا بعض الأجزاء والرسائل. ومعظم ما وصلنا من الفلسفة الإبيقورية مستمد من روادها وبعض المؤرخين ومنها النصوص التي حفظها ديوجينيس، وجاءت على هيئة رسالة موجهة إلى هيرودوتوس في الطبيعة. كان للأخلاق الإبيقورية أثراً ملحوظاً في المذاهب المعاصرة له. وحاول الرواقيون الإقلال من شأن إبيقوروس، لأنه كان من ألد خصومهم، ولفق له الكثيرون تهمًا عديدة. وعلى الرغم من ذلك، حافظت الفلسفة الإبيقورية على مكانتها في تاريخ الفلسفة،

كأبطال الملاحم حين وقف في وجه الخزعبلات الدينية، ومن ثم يدعو الناس إلى التحرر من الخوف من الآلهة، ويتحدث الكتاب الثانى عن الذرات وعن حركتها الأبدية، ويوضح أن الذرات ذات أشكال عديدة وتتحد بعدة طرق، ثم يتناول تفسير النظرية الذرية للكون، ويوضح أن الكون مكون من ذرات، وأنه لا نهائي وأبدي، وأن كل ما يجري فيه يعتمد بالأساس على حركات الذرات وتفاعلاتها في الفراغ الكوني.

يبدأ الكتاب الثالث بالمدح والثناء على إبيقوروس ثم يتحدث عن النفس والروح *animus ,anima* والعلاقات المتبادلة بين الروح والبدن، ويعرض كثير من الأدلة التى تدل على فناء الروح بعد الموت. وينتهى الكتاب الثالث بالانتصار على الخوف من الموت أو من العقاب فى العالم السفلى.

ويعرض الكتاب الرابع نظرية الإدراك الحسى كما وردت عند إبيقوروس ثم يتحدث عن الحواس(حاسة البصر والسمع والتذوق والشم)، وذلك كى يصل إلى شرح كيفية تكوين الصور الفعلية، وينتهى الكتاب بملاحظات ونظريات تتعلق بالطعام والشراب والنوم والأحلام والحب.

يعود فى الكتاب الخامس إلى المدح والثناء مرة أخرى على إبيقوروس ثم يتحدث عن أصل العالم وأنه ليس خالدًا، ويتحدث أيضًا عن أصل الإنسان وعن أوائل البشر وحالتهم البربرية وكيف تقدم الإنسان وتطور من خلال ابتكاره للغة واكتشافه للنار، وظل يتطور إلى أن بلغ ذروة التطور ويقصد به الحضارة اليونانية.

وفى الكتاب السادس والأخير يعود للمرة الثالثة إلى مدح إبيقوروس ويتناول فيه أيضاً الحديث عن الظواهر الطبيعية وخاصة ذات الطابع التدميري مثل البرق

ومجدته بلدته بأكثر من عشرين تمثالاً . توفي إبيقوروس عام ٢٧٠ ق.م عن عمرٍ يناهز ٧٢ عاماً .. راجع: أبيقور (١٩٩٤) مؤسس المدرسة الأبيقورية، إعداد: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى. ص ٢٤-٢٥.

والصواعق والزلازل والبراكين والمرض، وقد انتقى الظواهر التي تثير خوف الإنسان، مما جعل البشر ينسبونها إلى الآلهة.(٣)

يتجه بناء قصيدة " فى طبيعة الأشياء" بشكل عام من الطبيعة إلى الإنسان، أي من تناول طبيعة خلق الكون والعالم والموجودات من الذرات كما هو الحال في الكتابين الأول والثاني إلى خلق الإنسان جسدًا وروحًا في الكتاب الثالث، وحواس الإنسان في الكتاب الرابع، ونشأته وتطوره الحضاري في الكتاب الخامس، ودعوته إلأى عدم الخوف من الظواهر الطبيعية المدمرة في الكتاب السادس. كما يتجه بناء قصيدة "في طبيعة الأشياء" أيضًا من التكاثر والاذدهار إلى الموت والفناء، أي من عمار الكون على يد قوى الطبيعة الخلاقة المتمثلة في الربة فينوس في استهلال الكتاب الأول إلى الموت والدمار المتمثل في طاعون أثينا في ختام الكتاب السادس.

يُعتبر لوكريتيوس أوفى وأصدق من قدم فلسفة إبيقوروس فقد أخلص فى عرضها عرضًا تامًا وواضحًا، لاسيما أنه كان مؤمنًا بكل نظرياته سواء نظرية الذرات أو نظرية الإحساس ....إلخ.(٤) بل إن لوكريتيوس قارن بين معلمه وبين الآلهة التي يعبدها الناس لخدماتها الجليلة للبشر، وخلص إلى أن خدمات معلمه للبشرية أكثر نفعًا من خدمات الآلهة التي وردت في الأساطير، وعليه فقد رفع معلمه إلى مصاف الآلهة :

... deus ille fuit, dues ,inclute Memmi , (Lucr., DRN5 .8.)

" لقد كان إلهًا، لقد كان إلهًا، ياميميوس، يا ذائع الصيت"

(3) *Martin.F.S.,(2001)Lucretius on the Nature of Things. Translated, with Introduction and Notes.By. Martin. F.S., London. p. 22.*

(٤) أبيقور (٢٠٠٩) الرسائل والحكم، دراسة وترجمة: جلال الدين سعيد، الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان. ص ٧٦.

وليس هذا فحسب بل يخاطبه بقوله:

tu , pater,es rerum inventor,(Lucr., DRN3 .9.)

" أنت، ياأبتاه، المكتشف لطبائع الأشياء" (٥)

والمصدر الرئيس الذى يقدم أوضح فكرة وأشملها عن المذهب الإبيقورى هو بلا منازع قصيدة لوكريتيوس التى لها عنوان مؤلف إبيقوروس نفسه " فى الطبيعة " وتعتبر المرجع الأساسى لفهم الإبيقورية، لدرجة أن وفاء لوكريتيوس لمعلمه قد جعله أحيانًا يترجم حرفيًا أفكاره وصياغته في أسلوب شعري قوي.(٦)

لقد نجح لوكريتيوس فى إنشاء قصيدة تتناول موضوعًا فلسفيًا حول الطبيعة، كما نجح فى أن يكسو مادتها اليونانية ثوبًا رومانيًا، لأنه كان يريد أن ينقل إلى روما فلسفة معلمه دون حذف أو إضافة، وياله من تبجيل واحترام يمنحه لوكريتيوس لذلك الفكر الإبيقوري الذى يتبعه.(٧)

استهل لوكريتيوس الكتاب الثالث فى قصيدته فى طبيعة الأشياء بالمديح والثناء على معلمه إبيقوروس ، وقد سبق أن مجده فى بداية الكتاب الأول لأنه أول من جَرَأ على تحدى الآلهة، وزاد من شجاعته أن رغب في اختراق حصون الطبيعة المغلقة. ويسعى لوكريتيوس مثل معلمه إلى معالجة النفس من الأمراض الناجمة عن الخوف الذى لا مبرر له. فكان هدفه نبيلاً وإن لم يتمكن من تحقيقه وهو تخليص الإنسان من الخوف من الآلهة ومن الموت، إذ كان يود أن يقدم للإنسان الهدوء والسكينة وذلك من خلال تفسير الطبيعة فى ضوء فلسفة إبيقوروس، وقد سار شاعرنا في تفسيره للطبيعة

---

(٥) د ف. ج. و، (١٩٦٤) تاريخ الأدب الرومانى، ترجمة: محمد سليم سالم، راجعه : محمد صقر خفاجة، مركز كتب الشرق الأوسط. ج ٢ ، ص ٢٢-٢٣.

(6)*Gale. M. R., (2008) Oxford Reading in Classical Studies Lucretius. Oxford University Press. New York. P. 69.,*

أبيقور (٢٠٠٩) الرسائل والحكم ، سبق ذكره ، ص ٢٥ .

(7) *Jacques.L.,and Liza.B.,(2016)Lucretius and Modernity Epicuream Encounteros Across Time and Disciplines. New York.pp.90-91.*

من العام إلى الخاص، أي من تفسير طبيعة الذرات التي خُلق منها الكون إلى الإنسان، وطبيعة الإنسان من جسد وروح، ثم كيف تطور الإنسان من الحياة البهيمية إلى أن بلغ ذروة الحضارة في أثينا، وكيف أن ابتعاد الإنسان عن اتباع تعاليم إبيقوروس يجعله مثل المريض النفسي الذي يقبل على تدمير نفسه بسبب جهله بطبيعة الظواهر الطبيعية. لقد أولى لوكريتيوس اهتمامًا بالغًا بالطبيعة التي تتسم بالغموض والتي يتسبب غموضها في حيرة الإنسان وتعاسته، ومن بين ما حاول لوكريتيوس شرح طبيعته كانت الروح.(٨) والحق أن لوكريتيوس تميز بميزة كبيرة هي البراعة الشعرية والتمكن من اللغة، وهو ما مكنه من أن يكون ممتعًا وواضحًا حتى عندما كان يقوم بشرح أمور صعبة مثل الروح(٩)، ونجح في الغوص في أعماقها فى الكتاب الثالث فى نهج يمزج بين الطابع العلمي والشعري؛ وفيه يحاول تعريف الروح، وارتباطها بالعقل، ووصف الروح وتكوينها ومكانها وحركتها وتأثرها بالجسد ومغادرتها له وفنائها، وعرض ما يقرب من عشرين دليلًا ضد الاعتقاد فى خلود الروح.

تعريف الروح

يقول لوكريتيوس إن الروح مثل أي عضو من أعضاء الجسم، وأنها ذات طبيعة مادية، ولهذا فهي فانية مثل الجسد، وهو ما يتضح فى أقواله الآتية:

Nunc animam quoque ut in membris cognoscere possis
esse ..... (Lucr., DRN 3. 117-8)

(8) *Francesco.M., (2012) Lucretius and His Sources.A study of Lucretius, De Rerum Natura. 1. Berlin. Boston. P.25., Festugiere ,R.,(1946) Epicure et ses dieux ,Paris, P.U.F. p. 33.*

(٩)عبد العظيم محمد أحمد عبد الكريم (١٩٨٢)، الأدب الرومانى من البداية حتى نهاية عصر شيشرون،القاهرة (مكان النشر؟)، ص١٨١ .

"والآن يمكنك أن تعرف أن الروح أيضًا هى أحد أعضاء الجسد."(١٠)

quapropter quoniam est animi natura reperta
atque animae quasi pars hominis, (Lucr., DRN 3. 130-1)

" وهكذا حيث إننا قد توصلنا إلى أن طبيعة كل من العقل

والروح هى جزء من الإنسان، "

Haec eadem ratio naturam animi atque animai
corpoream docet esse; (Lucr., DRN 3.161-2)

" إن هذا المنطق ذاته يرشدنا إلى أن طبيعة العقل

والروح طبيعة مادية؛ "

……., nonne fatendumst
corporea natura animum constare animamque?
(Lucr., DRN3.166-7)

" ألا ينبغى علينا إذن

أن نسلم بأن للعقل والروح طبيعة مادية ؟ "

quandoquidem natura animi mortalis habetur,
(Lucr., DRN 3. 831)

"حيث إنه من المعروف عن مادة الروح أنها فانية "

(١٠) وقد اعتمد الباحث في ترجمة فقرات لوكريتيوس على كتاب: لوكريتيوس (٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء، ترجمة: على عبد التواب على، صلاح رمضان السيد، سيدأحمد صادق، مراجعة وتقديم: عبد المعطى أحمد شعراوى، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ط١.

يقول عبد المعطى شعراوى إن لوكريتيوس فى الكتاب الثالث حاول أن يبرهن على أن الروح *animus* والعقل *anima* هى أعضاء من أعضائنا تماماً مثل أطرافنا وأعضاء الجسد، بيد أنه ليس لها كيان متميز ومستقل، بمعنى أن الروح والجسد يعيشان ويموتان معًا. (١١)

فالجسد والروح يتكونان من التقاء الذرات بيد أنهما مختلفان فى الشكل، فالذرات التى تتكون منها الروح أخف وأرق، وهى تخضع لقوانين الذرات ولذلك فالروح تموت بموت الجسد، وبالتالى فإنه لن لايوجد جزاء أو حساب بعد الموت.(١٢)

وأضاف لوكريتيوس أن العقل وحده يجلب السعادة للإنسان فى قوله:

idque sibi solum per se sapit id sibi gaudet,
cum neque res animam neque corpus commovet ulla.
(Lucr., DRN 3. 145-6)

"وهذا العقل وحده هو الذى يملك التفكير بذاته ويجلب السعادة لنفسه،

عندما لا يؤثر فى الروح أو الجسد شيء سواه."

وإذا كان لوكريتيوس يقول إن العقل وحده هو الذى يملك التفكير ويجلب السعادة لكنه فى أكثر من إشارة يؤكد أن الروح والعقل مرتبطان ببعضهما:

Nunc animum atque animam dico coniuncta teneri
inter se atque unam naturam conficere ex se,
(Lucr., DRN 3. 136-7)

" الآن أؤكد أن العقل والروح مرتبطان ببعضهما،

وأنهما يشكلان فيما بينهما طبيعة واحدة ومادة واحدة "

---

(١١) لوكريتيوس (٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء ص٨١.

(١٢) على عبد التوب على ، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)،الأدب اللاتينى فى عصرى الجمهورية وصدر الإمبراطورية . قراءة فى الأجناس الأدبية ، القاهرة ، ص ٣٠١.

……; facile ut quivis hinc noscere possit
esse animam cum animo coniunctam,(Lucr., DRN 3.158- 9)

" وهكذا يمكن لأى إنسان أن يدرك بسهولة
أن الروح مرتبطة بالعقل ،"

من خلال تأكيد لوكريتيوس على أن العقل والروح مرتبطان يتضح لنا أن لذات الجسم سريعة الزوال ولذات الروح دائمة، ولذلك يعتقد أن اللذات الروحية والعقلية أكثر أهمية من لذات الجسم، فالجسم لا يشعر باللذة والألم إلا عندما يكون الروح والعقل موجودان، والجسم لا يملك فى ذاته ذاكرة ولا استباقًا معرفيًا، بل إن العقل هو الذى يتذكر ويتنبأ. ويجب التغلب على الآلام الجسمانية والظروف الخارجية، ولهذا فإن الإنسان لا يجب أن يعتمد فى بلوغ السعادة على ماهو خارجى، بل يجب أن يحصل على سعادته من ذاته حتى ولو كان به آلام جسمانية.(١٣)

وصف الروح وتكوينها

من المعروف أن الحياة تتم بنفخ الروح فى جسد الجنين وهو فى بطن أمه، والروح هى سر الحياة فما دامت موجودة بالجسد فهو حَىّ وإذا خرجت منه فهو ميت. أما أجهزة الجسم من عقل وقلب وغير ذلك فهى أجهزة عاملة بالروح، ويرى الباحث أن هذه المعرفة هى التى جعلت لوكريتيوس يتساءل عما تتكون الروح فى قوله:

…… , tunc cum primis ratione sagaci
unde anima atque animi constet natura videndum,
(Lucr., DRN 1.130-1)

" بل يجب علينا أيضاً أن نتفحص بتفكير عميق، من أى شىء
تتكون الروح وما هى طبيعة العقل، "

(13) *Goodwin.J., (2004) Lucretius. London: Bristol Classical Press.p.64; Johnson. W. R., (2000) Lucretius and The Modern World. London.p.98.*

وقد أجاب بنفسه على هذا التساؤل من خلال أبياته الآتية:

haec quoque res etiam naturam dedicat eius,
quam tenui constet textura quamque loco se
contineat parvo, si possit conglomerari,
quod simul atque hominem leti secura quies est
indepta atque animi natura animaeque recessit,
nil ibi libatum de toto corpore cernas
ad speciem, nil ad pondus: mors omnia praestat
vitalem praeter sensum calidumque vaporem
ergo animam totam perparvis esse necessest
seminibus, nexam per venas viscera nervos:
quatenus, omnis ubi e toto iam corpore cessit,
extima membrorum circumcaesura tamen se
incolumem praestat nec defit ponderis hilum.
(Lucr., DRN 3. 208-220)

" ثمة شيء آخر يوضح طبيعة الروح ويظهر

كم هى تتألف من نسيج رقيق، وكم هو ضئيل ذلك الحيز

الذى تشغله – وذلك إن كان بمقدورها أن تتجمع فى مكان –

لأنه بمجرد أن يحل بالإنسان سكون الموت التام،

وترحل مادة العقل والروح عن الجسد،

حينئذ يمكنك أن تلحظ أن شيئًا لا ينقص من الجسد كله،

سواء من هيئته الخارجية أو من وزنه: فالموت يترك كل شيء على

حاله عدا الإحساس الذى يميز الكائن الحى وحرارة الجسم الدافئة.

وعلى ذلك فإن الروح بأكملها لابد وأنها تتكون من ذرات

غاية فى الصغر، كما أنها تتغلغل فى الشرايين واللحم والأعصاب،

ومن ثم فإنه عندما ترحل كليًا من الجسد كله،

فإن الإطار الخارجى لأعضاء الجسد مع ذلك

يحافظ على نفسه كاملًا، ولا ينقص من وزنه مثقال ذرة. "[١٤]

ولقد اعتقد لوكريتيوس أن الكون يتكون من ذرات تتحرك فى فضاء، وأن العالم كله وليد صدفة ناجمة من حركة الذرات الي بدأت في الماضى منذ زمن بعيد وسوف تستمر إلى زمن أبدي سرمدي، واعتقد أيضاً أن الأرواح ماهى إلا مزيج من الذرات التى سوف تتحلل فى حالة الوفاة ولذا يجب على الإنسان التحرر من الخوف من الآلهة فالسعادة فى متناول يديه وتكمن فى الاستجابة لاحتياجات الجسد بصورة لا مغالاة فيها، وفى تسخير العقل للتأمل والإعجاب لمن يحب والعيش معه والاستمتاع معًا؛ أى أنه كان يريد للإنسان أن يجد فى نفسه القدرة والوسائل الكافية كى يصل إلى السعادة التى يتوق إليها بعد أن يتحرر من كل تأثير على فكره.[١٥]

وقول لوكرتيوس فى البيتين (٢١٦-٢١٧) من الأبيات السابقة :

" وعلى ذلك فإن الروح بأكملها لابد أنها تتكون من ذرات غاية فى الصغر،"

وقوله فى بيتين تاليين:

at quod mobile tanto operest ,constare rutundis
perquam seminibus debet perquamque minutis,
(Lucr., DRN 3. 186-7)

" لكن الشىء (الروح) الذى يتحرك بسرعة فائقة ينبغى أن

يتألف من ذرات بالغة الإستدارة والدقة،"

وهو ما يتفق تمامًا مع قول إبيقوروس نفسه :

ἡ ψυχὴ σῶμά ἐστι λεπτομερὲς
(Epicur.,La Lettre d' Epicure a Herodote .63)

---

(١٤) لوكريتيوس (٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء، سبق ذكره . ص٢٥٧-٢٥٨

(15) *Dudley.D.R.,(1960) Civilization of Rome .London.p.188.*

"الروح تكون فى الجسد (عبارة عن) ذرات غاية فى الصغر (ولطيفة)"

[Ἐπίκουρος] λέγει ἐν ἄλλοις καὶ ἐξ ἀτόμων [τὴν ψυχὴν] συγκεῖσθαι λειοτάτων κάι στρογγυλωτάτων,
(Epicur.,La Lettre d Epicure a Herodote .66)

" يقول إبيقوروس إنه (يعتقد) هو والآخرون أن (ذرات) الروح لا تنفصل وإنها تتكون من ذرات صغيرة جداً (رقيقة جداً) وبالغة الإستدارة "

فإبيقوروس يبين أن " ذرات الروح تشبه تماماً الذرات الصغيرة جداً وبالغة الإستدارة ". يضاف إلى ذلك أن لوكريتوس يُبين أن كل الأشياء مكونة من ذرات غاية فى الصغر وهذه الذرات تختلف فى شكلها ووزنها لا فى كيفيتها، والروح نفسها ليست إلا ذرات تتفرق عند الموت ولا يجب أن نفكر فى العقاب الأخروي لأنه إذا جاء الموت فلا شعور، لأن الموت هو نهاية الشعور، ومن الحكمة ألا نخاف مما نعلم أنه عندما يجيء نكون فقدنا الحس والشعور،[١٦] ولذا قال:

Nil igitur mors est ad nos neque pertinet hilum,
(Lucr., DRN 3. 830)

" وعلى ذلك فإن الموت لايمثل لنا شيئًا، ولايقلقنا على الإطلاق، "

وعلى الرغم من أن بعض الأشياء مثل الروح تتكون نتيجة اتحاد عدد من الذرات قليلة نسبيًا ودقيقة جدًا ومتحركة ومن ثم فهى تكون أكثر رقة من الأشياء الأخرى. ولما كانت جميع الأشياء مركبة هكذا بطريقة عرضية فجميعها تكون قابلة للتفكك فيما عدا الذرات نفسها التى هى من الصغر لدرجة لا يمكن كسرها أو شطرها

(16) *Francesco. M., (2012) Lucretius and His Sources.A study of Lucretius, De Rerum Natura.1.Berlin.Boston.P.22; Brown. P. M.,(1997) Lucretius, De Rerum Natura III warminster. Aris and Philips.p.43.*

إلى شيء أصغر منها.[١٧] وعند رحيلها من الجسد لا تأخذ منه شيئاً كما قال لوكرتيوس:

quare etiam atque etiam mentis naturam animaeque
scire licet perquam pauxillis esse creatam
seminibus, quoniam fugiens nil ponderis aufert.
(Lucr., DRN 3. 228-230)

"ولذلك أقول مراراً وتكراراً إنه بإمكانك أن تدرك أن مادة العقل والروح تتكون من ذرات بالغة الصغر، حيث إنها برحيلها لا تأخذ شيئاً من وزن الجسد." [١٨]

نجد لوكريتيوس بعد ذلك يغوص أكثر فى مكونات ذرات الروح وهو مالم يتطرق إليه غيره فيقول:

inter enim cursant primordia principiorum
motibus inter se, nil ut secernier unum
possit nec spatio fieri divisa potestas,
sed quasi multae vis unius corporis extant.
(Lucr., DRN 3 262-265)

" تتداخل ذرات العناصر (الأربعة المكونة للروح) مع بعضها البعض أثناء حركتها، حيث لا يمكن لأحد العناصر أن ينفصل عن العناصر الأخرى، كما أنه لا توجد أى مسافة بينهما تمكن قوة العنصر من الانعزال عن الأخرى، ولكنها تتضافر وكأنها قوى متعددة بجسد واحد." [١٩]

---

(١٧) عبد العظيم محمد أحمد عبد الكريم (١٩٨٢) الأدب الرومانى ،سبق ذكره . ص ١٧٤–١٧٥.
وكذلك راجع:
Colman.J., (2006) Science and Poetry.A study of Lucretius, on the Nature of things.Boston College.p.122.

(١٨) لوكريتيوس " فى طبيعة الأشياء " ، سبق ذكره. ص٢٥٨.

(١٩) لوكريتيوس " فى طبيعة الأشياء " ، سبق ذكره . ص٢٦١. وحول نفس المعنى راجع :
Lucretius, DRN. 3.372-380.

تنشأ الحياة من توافقات متنوعة بين العناصر الأربعة (الهواء والماء والنار والتراب) التى تكون الروح، فإذا تحلل الجسد تحللت الروح، حيث لابد من وجود تعاون متبادل بينهما، وبما أن الروح تتكون من ذرات خفيفة جدًا فإن الجسد إذا ما مات ولم يعد حابساً لها فإنها تموت هى الآخرى، وعلى هذا يجب ألا نخشى الموت طالما أن بعده عدم. (٢٠)

ويوضح (سميث - *Smith*) أنه تصاحب حياة الإنسان روح طبيعية مادية تنشأ فى الجسم وتقوى بقوته، وتضعف بضعفه، وتهلك بهلاكه؛ وهذه الروح تتألف من ذرات ليست كثيفة خشنة كذرات الأجسام وإنما هى ذرات لطيفة ناعمة مستديرة دقيقة خفيفة وهى من أربعة عناصر مختلفة ثلاثة منهم (النار والهواء والريح) والعنصر الرابع يسمى بالجوهر المفكر، وهذا العنصر الأخير هو الذى يقود الحياة العقلية فى الإنسان، وعنصر النار هو جوهر الشجاعة والهواء هو جوهر الهدوء فى الإنسان، والريح جوهر الخوف، والعناصر الثلاثة الأولى توجد فى الإنسان والحيوان، وهي تنتشر فى جميع الفراغات الموجودة بين ذرات الجسم، أما العنصر الرابع فلا يوجد إلا فى الإنسان فقط. (٢١)

والروح مؤلفة من تجمع أربعة أنواع مختلفة من الذرات، تأتي منها خصائص الجسم الحي: النَفَس وتأتي منه الحركة، والهواء ويأتي منه السكون، والنار وتأتي منه الحرارة، وأخيراً نوع رابع يأتي منه الفكر الذي يقوم بنشر الحركات الإحساسية في الأعضاء.(٢٢)

(20) *Hutchinson. G.,(2001)"The Date of De Rerum Natura. C Q". 51. p. 152;*
Brown. P. M.,(1997) Lucretius, De Rerum Natura III warminster. Aris and Philips.p.45.
(21)*Smith. M. F., (2001) Lucretius, On the Nature of things Cambridge.p.123.*
(22)*Matthew .S. P. J., Metaphor and Argumentation in Lucretius. Royal Holloward University of London PhD Classics.p.198., Shirley .M.L.D.,(1968) Democritus and Epicurus : Soul ,Thought, and Theory of Knowledge , The University of British Columbia.p.48*

وعن حركة الروح وسرعتها يقول:

atque animam verbi causa cum dicere pergam,
mortalem esse docens, animum quoque dicere credas.
quatenus est unum inter se coniunctaque res est.
principio quoniam tenuem constare minutis
corporibus docui multoque minoribus esse,
principiis factam quam liquidus umor aquai
aut nebula aut fumus: nam longe mobilitate
praestat et a tenui causa magis icta movetur;
(Lucr., DRN 422-429)

"فعندما أتطرق فى حديثى عن الروح على سبيل المثال
مشيرًا إلى فنائها، كن متيقنًا من أن حديثي ينطبق أيضاً على العقل،
لأنهما يمثلان شيئًا واحدًا ولهما طبيعة واحدة.
فى المقام الأول حيث إنني قد وضحت أن الروح لكونها رقيقة
وأنها تتكون من جسيمات دقيقة وتتركب من ذرات
أصغر بكثير من ذرات سائل الماء الجاري
أو ذرات السحاب أو الدخان وحيث إنها تفوق هذه المواد بكثير
فى سرعة الحركة وفى سرعة الاستجابة لأدنى قوة دافعة ." (٢٣)

يتبين لنا من خلال الجزء الأخير من الأبيات السابقة أن لوكريتيوس يحاول جاهدًا أن يصف الروح ويشبه ذراتها بأنها: أصغر بكثير من ذرات سائل الماء الجاري، أو ذرات السحاب أو الدخان، وحيث إنها تفوق هذه المواد بكثير فى سرعة الحركة وفى سرعة الاستجابة لأدنى قوة دافعة.

هذا الوصف الذى ورد عند لوكرتيوس من خلال أبيات من الشعر الفلسفي مستمد من إبيقوروس، ولن يستطيع أى شاعر غيره أن يقتحم تلك الأراء ويحتكم إلى

(٢٣) لوكريتيوس " فى طبيعة الأشياء " ، سبق ذكره . ص٢٧١.

العقل وأن يحس بإحساس أعمق نحو أعمال الطبيعة المادية الغامضة المهيبة للروح مثل شاعرنا لوكريتيوس لأنه كانت تجيش نفسه بالتعاليم التي غرسها فيه معلمه إبيقوروس. من خلال المذهب الإبيقورى والمستمد من فلسفة ديموقريطوس الذرية التى تقرر أن العالم نتج عن تجمع الذرات التي وُجدت بالصدفة، وهى تختلف فى الحجم والشكل وتسبح فى الفضاء، والإنسان مكتوب له أسباب مقدرة من الأزل لا سلطان له عليها، وكل شيء مخلوق من المادة حتى الروح، ويمكن أن تتفكك ذرات المادة، فالمادة تفنى، فكل شيء يفنى خلا الذرة.(٢٤)

ومهما اختلفت الآراء فإن الفكرة الشائعة عند القدامى وعند المحدثين هى أن إبيقوروس قد اقتبس آراءه عن ديموقريطوس، بغض النظر عما يمكن العثور عليه بين الفيلسوفين من فوارق دقيقة واختلافات خفية لدرجة أنه لا يمكن تبينها إلا لمن يتفحصها فحصًا دقيقًا.(٢٥)

وعلى الرغم من أن لوكريتيوس يصوغ آراءه شعرًا فإنه قد استخدم أيضًا أساليب نثرية مناسبة للمناقشات الفلسفية وهذا هو ما منح لوكريتيوس فرصًا عديدة لتطوير تشبيهات شعرية ثرية متعددة، وهو من أجمل جوانب أسلوبه فى الكتابة وأرقها.(٢٦)

مكان الروح

تتكون طبيعة النفس من جزئين أحدهما هو العقل *animus* أو *mens* وهو مستقر فى الرأس وعن طريقه نفكر ونحس، والنفس الفعلية (الروح) *anima* وهى منتشرة خلال الجسد. وهاتان القدرتان هما ذات طبيعة فانية حيث إن كليهما يتكون من أنواع متعددة من الذرات بالغة الدقة. كما أنهما يفنيان ويتبددان بعد الموت، وعلى

(24) *Barrow.R.H.,(1960) The Romans. London.pp.153-154;Hadzsits.G.D.,(2006) Lucretius and His Influence. Lighting source incorporated. London.p.69.*

(٢٥) أبيقور الرسائل والحكم، سبق ذكره. ص٦٢.

(٢٦) لوكريتيوس " فى طبيعة الأشياء " ، سبق ذكره . ص٧٨ .

ذلك فالموت شيء لا يجب أن نخشاه، وعليه لا يجب الخوف من العقاب فى العالم السفلي.[٢٧]

وأكد لوكريتيوس على أن الروح ليس لها مكان ثابت ولكنها تنتشر فى الجسد كله في أقواله الآتية:

cetera pars animae per totum dissita corpus
paret……. (Lucr., DRN 3. 143-4)

" وينتشر الجزء المتبقى من الروح فى أنحاء الجسد كله "

……atque animai
diffugiant partes per caulas corporis omnis.
sed plerumque fit in summo quasi corpore finis
(Lucr., DRN 3. 254-256)

" كما أن ذرات الروح تنتشر عبر كل مسام الجسد.

وغالباً ما يوجد على سطح الجلد ما يشبه الحدود لحركة الذرات"

atque animam credit permixtam corporae toto
suscipere hunc motum quem sensum nominitamus,
(Lucr., DRN 3. 351-2)

" ويُعتقد أن الروح المنتشرة فى سائر الجسد

تأخذ على عاتقها ذلك النشاط الذي نطلق عليه المشاعر،"

quam primordia sentiscant concussa animai
semina, corporibus nostris inmixta per artus
(Lucr., DRN 3. 392-3)

" قبل أن يبلغ الإحساس لذرات الروح

(27) *Nussbaum.M.C., (1990) "Mortal, immortal, Lucretius on Death and the voice of Nature" philology and phenomenological Research.p. 313; James. J.O., (2007) Inconsistency in Roman Epic Studies in Catullus, Lucretius,Vergil, Ovid and Lucan. Cambridge University press.p.133.*

المبعثرة في سائر أعضاء الجسد، "

والحق أن قول لوكرتيوس إن ذرات الروح منتشرة فى كل الجسد مستمد من معلمه إبيقوروس الذى يقول :

καὶ τὸ μέν τι ἄλογον αὐτῆς ὃ τῷ λοιπῷ παρεσπάρθαι σώματι . τὸ δὲ λογικὸν ἐν τῷ θώρακι, ὡς δῆλον ἐκ τε τῶν φόβων καὶ τῆς χαρᾶς.

(Epicur.,La Lettre d Epicure a Herodote .66)

"وبدون أى قول فإن باقى ذرات الروح تكون منتشرة

فى كل الجسد والعقل الذى يحرك السعادة ويجلبها للقلب (للصدر)."

ويقول أيضاً إن الروح تسير عبر مسام جلد الإنسان فى قوله :

..... περὶ σάρκα τῆς ψυχῆς
δυνάμεων, αἷς θερμότητα καὶ μαλακότητα καὶ τόνον παρέχει τῷ σώματι , τὴν οὐσίαν σύμπηγνύντες αὐτῆς ἔκ τινος θερμοῦ καὶ πνευματικοῦ καὶ ἀερώδους

(Epicur.,Usener.314.)

" أن الروح تسير عبر (مسام) جلد الإنسان

وهى (عبارة عن) حرارة دافئة ولطيفة.

ويوجد بداخل الجسد مادة (الروح) التى تتكون من

ثلاث: الحرارة والريح والهواء."

وقد أكد لوكرتيوس كذلك على أن ذرات الروح لا تبتعد عن حواس الإنسان أثناء النوم فى قوله:

et tamen haudquaquam nostros tunc illa per artus
longe ab sensiferis primordia motibus errant,
cum correptus homo ex somno se colligit ipse.
(Lucr., DRN 3. 923-925)

نظرية لوكريتيوس عن الروح

"على أى حال فإن ذرات الروح المنتشرة فى كل أنحاء أجسادنا
لا تبتعد كثيراً عن الحواس أثناء النوم،
وعندما ينهض الإنسان من نومه فجأة فإنه يستجمع كل قواه (ذرات روحه)."

إن قول لوكريتيوس إن الروح لا تبتعد عن حواس الإنسان أثناء النوم مقتبسة تماماً من خلال فكره وإيمانه بالفكر الإبيقورى الذى يُبين أن الأشياء التى تقع عليها المعرفة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: المحسات القريبة: وهى كل ما نحسه عن قرب ونستطيع أن نجرى عليه التجربة متى شئنا، والعلم المتعلق بهذا القسم يقينى.

الثانى: المحسات البعيدة: وهى كل ما نحسه ولا نملك إجراء التجربة عليه لبعده عن متناول قدرتنا مثل الكواكب والنجوم، والعلم المتعلق بهذا القسم ظنى.

الثالث: ما لا يُحس بالحواس الخارجية وهو كل ما تسلك ذراته إلى الروح سبيل المسام الجسمية، حيث لا سبيل للحواس، فتتصل به الروح مباشرة، لا عن طريق الإحساس الخارجى كغيره، والعلم بهذا القسم يقينى.[٢٨]

كان لوكريتيوس يريد للإنسان أن يجد فى نفسه القدرة والوسائل الكافية كي يصل إلى السعادة التى يتوق إليها بعد أن تحرر من كل تأثير على فكره. وأن ما يمكن أن يصل به إلى هذا هي تعاليم معلمه إبيقوروس فقط. يا له من تبجيل واحترام يمنحه لوكريتيوس لتلك التعاليم التي يتبعها دون أن يغير فيها حرفًا واحدًا، ودون أن يقتطع منه شيئًا، أو يضيف إليه شيئًا؛ إنه بهذا ينقل إلى روما فلسفة ذلك اليونانى العظيم في أبهى صورة، ودون أن تمسه يد التعديل.[٢٩]

---

(28) Clay.*D., (1983) Lucretius and Epicurs. Cornell University press and London.p.97;cf also.*

أبيقور (١٩٩٤) مؤسس المدرسة الأبيقورية، سبق ذكره. ص٣٤ .

(29)O'Keefe.*T., (2005) Epicurus on Freedom.Cambridge.p.56.*

لقد قال لوكريتيوس من قبل إن الروح والعقل مرتبطان ببعضهما، وإن العقل وحده هو الذى يملك التفكير ويجلب السعادة، ونجده بعد ذلك يقول أيضًا إن الروح والجسد مرتبطان ببعضهما بذرات وبجذور مشتركة إذ يقول :

Haec igitur natura tenetur corpore ab omin
ipsaque corporis est custos et causa salutis;
nam communibus inter se radicibus haerent
nec sine pernicie divelli posse videntur.
(Lucr., DRN 3. 324-326)

"وهكذا فإن هذه الطبيعة(الروح) محفوظة بداخل الجسد كله،
وهى نفسها تكون حارسة للجسد وسبب سلامته؛
لأنهما (الروح والجسد) يرتبطان ببعضهما بجذور مشتركة،
وفيما يبدو أنهما لا يستطيعان الابتعاد عن بعضهما إلا بفنائهما "[٣٠]

الروح هى الأساس فى الإنسان وما الجسد إلا ثوباً لها ترتديه، وارتباط الروح بالجسد هو الذى يمكنها من أداء مهمتها، وعندما تنعدم هذه الصلة تتحلل الروح وتتلاشى وتتفرق ذراتها. ولا يصل الإنسان إلى مرتبة الحكمة إلا بعد شعوره بالسكينة وراحة البال، وهذا الهدوء لا يتحقق إلا بخلو الجسد من الآلام، والروح من الإضطرابات، ولذا يجب على الإنسان التحلي بالشجاعة والاعتدال والاكتفاء بالذات، فهى تخلصنا من القلق ومن كل اضطرابات النفس التى تعكر صفو حياتنا.[٣١] حيث إن الجسم يعد هو الوعاء للروح، كما قال:

crede animam quoque diffundi multoque perire
ocius et citius dissolvi in corpora prima,
cum semel ex hominis membris ablata recessit

(٣٠) حول نفس المعنى راجع :*Lucr., DRN 3. 329-332.*

(31) *Gale. M., (2007) Oxford Redings in Classical Studies. Lucretius. Oxford.P.76; Clay.D., (1983) Lucretius and Epicurs.Cornell University press and London.p.99.*

quippe etenim corpus, quod vas quasi constitit eius,

……

(Lucr., DRN 3. 437-440)

" صدق أن الروح أيضًا تتبدد وتفنى على نحو
أسرع (من السحاب والدخان)، وسرعان ما تتفكك الذرات المكونة لها،
بمجرد أن تنسحب وترحل من أعضاء جسم الإنسان،
إذ إن الجسد، الذى يُعد بمثابة وعاء لها (للروح)،
....." [٣٢]

سبق وأن وصف لوكريتيوس الروح وشبه ذراتها بأنها أصغر بكثير من ذرات الماء الجارى، أو ذرات السحاب أو الدخان، وأنها تفوق ذرات هذه المواد بكثير فى سرعة الحركة وفى سرعة الاستجابة لأدنى قوة دافعة.[٣٣]

ثم يعود ويقول يجب أن نصدق أن ذرات الروح تتلاشى وتفنى بسرعة أكبر من ذرات السحاب والدخان، وسرعان ما تتفكك الذرات المكونة لها من الجسد بمجرد أن تنسحب وترحل من أعضاء جسم الإنسان.

إن وصف لوكرتيوس لخروج الروح وانتشارها خارج الجسد يتطابق مع قول إبيقوروس:

ψυχή …… παρ᾽ ὅλον τὸ ἄθροισμα παρεσπαρμένον
(Epicur.,La Lettre d Epicure a Herodote .63)

" أن الروح ..... بعد خروجها تماماً (من الجسد) تكون منتشرة (فى الهواء)"

وفيما يبدو أنه يتخيل ما الذى يحدث بالجسد بعد أن تغادره الروح وهو جثة هامدة بدون أى حركة لا حول ولا قوة، وهذا ما يؤكد أن فكرة الموت فى حد ذاتها

---

(٣٢) الترجمة مأخوذة مع تعديل بسيط من : لوكريتوس "فى طبيعة الأشياء"، سبق ذكره . ص٢٧١.

(33) *cf, Lucretius DRN. 3. 426-429.*

مصدر خوف للإنسان بصرف النظر عن المصير الذى يعقبه بعد ذلك. فالخوف من الموت متأصل فى العقل والخيال معًا، لأن الإنسان يعلم جيدًا أن مصيره الفناء، وفى الوقت نفسه لا يعلم متى يأتى الموت وما الذى يحدث بالجسد بعد أن تفارقه الروح[٣٤]، لاسيما وأنه يقول إن الجسد لايستطيع تحمل رحيل الروح عنه فيحدث له الآتى:

……., non, inquam, sic animai
diseidium possunt artus perferre relicti,
sedpenitus pereunt convulsi conque putrescunt.
(Lucr., DRN 3. 341-343)

"وعلى هذا أقول إن أعضاء الجسد

لا تستطيع أن تتحمل رحيل مغادرة الروح عنها.

إذ إنه يبلى بتحلله من الداخل ويتعفن." [٣٥]

أى أن الجسد كما هو معروف يتعفن ويتحلل ويفنى. ثم بعد ذلك يصور الشاعر ما الذى تتبعه الروح بعد خروجها من الجسد وكيفية خروجها من جسد الإنسان فى إشارتين فيقول فى الأولى:

nam sine mente animoque nequit residere per artus
temporis exiguam partem pars ulla animai,
sed comes insequitur facile et discedit in auras
et gelidos artus in leti frigore linquit.
at manet in vita cui mens animusque remansit.
(Lucr., DRN. 3. 398-402)

"لأنه بدون العقل والإدراك لا تتمكن ذرة واحدة من ذرات

(34) *Gale. M., (2007) Oxford Redings in Classical Studies. Lucretius. Oxford.P.77; Gain. D. B., (1969) "The Life and Death of Lucreius" Latomus 28. p. 550.*

(٣٥) حول نفس المعنى راجع :

Lucretius, De Rerum Natura .3.356-358; 3. 561-362;3.797-799.

الروح أن تمكث داخل الجسد ولو لحظة واحدة من الوقت
وبرحيل العقل، فإن الروح تتبعه بكل سهولة كرفيقة له
وتنطلق فى الهواء وتغادر الجسد البارد عند قشعريرة الموت. "[٣٦]

ويقول فى الثانية:

nec sibi enim quisquam moriens sentire videtur
ire foras animam incolumem de corpore toto
nec prius ad iugulum et supera succedere fauces,
(Lucr., DRN 3. 607-609)

"والحق أنه لا يبدو أن أحدًا عند الاحتضار يشعر
بأن الروح تخرج كاملة من الجسد،
أو لا يشعر بها وهى تبلغ الحلقوم ثم الفكين وهى كاملة،"[٣٧]

إن تصور لوكريتيوس وفهمه يخالف ما هو معروف لإنه يقول "وبرحيل العقل فإن الروح تتبعه أى تتبع العقل". ومن المعروف أن البصر يتبع الروح عند خروجها من الجسد. وهناك علامات تحدث بالجسد بعد خروج الروح منه وهذه العلامات هى استرخاء رجلى الميت، وانفصال كفيه، وميل أنفه، وامتداد جلد وجهه وتهدل صدغيه. ومن علامات تمام الموت شخوص البصر، أى فتح الجفون وثبات حبة العين إلى أعلى لأن البصر يتبع الروح عند خروجها،[٣٨] وللموت أيضاً علامات (مقدمات) متدرجة وهى:

١- غشية الموت: والمقصود بهذه الحالة التى يشخص فيها البصر ولا يتحرك.

---

(٣٦) لوكريتيوس: " فى طبيعة الأشياء" ، سبق ذكره . ص ٢٦٩.

(٣٧) المرجع السابق ص٢٨١.

(٣٨) ابن قيم الجوزية (٢٠١٢) كتاب الروح ، حققه :محمد أجمل أيوب الإصلاحى ، دارعالم الفؤاد للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة،ط١ ، ص ١٥.

٢- حضور الموت: وهى ساعة الغرغرة [التى لا تُقبل فيها التوبة]
٣ – سكرة الموت: غمرته وشدته وهى ساعة الاحتضار والمعاناة لنزع الروح من البدن.

ولا يُعلم بدقة ويقين من أين تخرج الروح من البدن ولا كيفيته، لكن ظواهر النصوص تشير إلى أنها تخرج أولًا من الأطراف السفلية فتجذب من أطراف البنان ورؤوس الأصابع فتبرد هذه الأعضاء وتفارقها الحياة، ولكل عضو من البدن سكرة وكربة، حتى تصل الروح إلى الحلقوم، هنا تكون الغرغرة والمعاينة (رؤية ملك الموت وما ينجم عنه من روع وفزع) وعندها حضور الموت، وهنا تنقطع معرفة الإنسان بالناس. وبعد أن تتجمع الروح في الصدر وتنتقل الى الحلقوم تخرج الروح (يقبضها ملك الموت) فيتبعها الميت ببصره فيشخص بصره ويبقى كذلك حتى يغمض.[٣٩]

والموت صفة سلبية ضد الحياة أى أنها تقتضى عدم الحس والحركة، ويتم الموت بمفارقة الروح للجسد، وبهذه المفارقة تتوقف أجهزة الجسد كلها وتنتهى مظاهرها من تنفس ونبض القلب وتماسك العضلات وغير ذلك من مظاهر الحياة. فالموت يضع حدًا للحياة، وليس من الضرورى أن تنغص فكرة الموت على الإنسان حياته، وأنه يجب عليه أن يواجه الموت بدون خوف ولا فزع، وأن لا يلحق بحياته القلق والاضطراب، ويبين ما الذى يخيف الإنسان من الموت؟ هل هو الموت نفسه من كونه حدثًا مؤلمًا، أم هو من المصير بعد الموت؟ وهذا المصير هل هو مصير الجسد الذى تغادره الروح؟ أم هو مصير الروح والجسد معًا؟ [٤٠]

(٣٩) فخر الدين الرازى (٢٠٠٢) يسألونك عن الروح ، دراسة وتحقيق: محمد عبد العزيز الهلاوى ، مكتبة القرآن ،القاهرة .ص٩٨.

(40) *Barrow.R.H.,(1960) The Romans. London .p.155;Hadzsits.G.D.,(2006) Lucretius and His Influence. Lighting source incorporated. London. p.71.*

ومن خلال ما سبق يتبين للباحث أن مفهوم لوكريتيوس عن كيفية خروج الروح من جسد الإنسان ما هو إلا محض اجتهاد من جانبه. وعن مصير الروح بعد الموت يقول:

Quid dubitas tandem quin extra prodita corpus
inbecilla foras in aperto, tegmine dempto,
non modo non omnem possit durare per aevom,
sed minimum quodvis nequeat consistere tempus?
(Lucr., DRN 3. 603-606)

" وأخيرًا لماذا يساورك الشك في أن الروح بعد انتزاعها من الجسد
تصير ضعيفة خارج الجسد في الهواء وبلا وعاء يحميها،
وبذلك فإنها ليس فقط لا تستطيع البقاء بمفردها طول الوقت،
بل إنها أيضًا لا تستطيع أن تبقى بمفردها للحظة واحدة "(٤١)

يريد لوكريتيوس أن يُبين أنه طالما أن الروح تتكون من ذرات فإن هذه الذرات تتناثر عند موت الإنسان وعلى هذا فليس هناك تفكير فى حياة مستقبلة، ويجب أن تُعد هذه نعمة فهو يحررنا من الخوف من الموت، والخوف من حياة آخرى، فالموت ليس شرًا، وعندما يأتى الموت فلن تشعر به أليس هو نهاية كل شعور وكل وعى؟ وعلى هذا فليس هناك سبب يدعونا للخوف الآن مما لا نشعر به عندما يأتى.(٤٢) وفكرة عدم الخوف من الموت بصفة عامة مأخوذة كليًا من إبيقوروس (٤٣) الذى يقول عن الموت :

(٤١) لوكريتيوس: فى طبيعة الأشياء" ، سبق ذكره . ص٢٨١.

(٤٢) أبيقور (١٩٩٤) مؤسس المدرسة الأبيقورية، سبق ذكره . ص ٤٣.

Johnson. W. R., (2000) Lucretius and The Modern World. London.p.81.

(43) *Peter. A.,(1997) Lucretius and the fears of Death . a Dissertation Presented to the Faculty of the Graduate School of Cornell University, in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy.pp.183-184., Shirley .M.L.D.,(1968)*

..... , τεθνάναι
φοβουμένους ὡσπερ οὖσαν καὶ αὐτοὺς , καὶ ἐν τῷ μὴ
δόξαις ταῦτα πάσχειν ἀλλ᾽ αλόγῳ γέ τινι παραστάσει,
(Epicur.,La Lettre d' Epicure a Herodote .81)

" لماذا نخشى الموت كما لو كان (للموت) أية صلة بنا،
ولماذا نتوقع العذاب الأبدى ونشعر بالخوف منه. "

وترشدنا الكتب السماوية إلى أن الروح بعد أن تخرج من جسد الإنسان فيكون الموت، وأنها تبقى ذات إدراك تسمع أحاديث الأحياء وتدرك لذة النعيم أو الجحيم، وأن مقرها يختلف بتفاوت درجاتها عند خالقها.(٤٤)

فناء الروح

قسم لوكريتيوس الكتاب الثالث إلى جزئين : الجزء الأول يناقش أن الروح كيان مادى فهى كأى جسد تتكون من ذرات بالغة الدقة ومتحركة، وفى الجزء الثانى يناقش قضية فناء الروح، إذ إنها تتكون من مادة وهى بالتالى يسرى عليها قانون دورة الميلاد والموت. وفى هذا الجزء يقدم لوكريتيوس تسعًا وعشرين برهانًا على وجهه نظره واستخدم الحيل البلاغية والعناية الفائقة فى اختيار الأمثلة والصور البلاغية وكل هذا يخلق قوة لا يمكن انكارها. (٤٥)

ونفى لوكريتيوس نفيًا تامًا فكرة خلود الروح بعد الموت، وقال إنها يجب أن تهلك مع الجسم، والغاية من هذا النفى هو التأكيد على فنائها وإثبات أنها لا تُعذب

Democritus and Epicurus : Soul ,Thought, and Theory of Knowledge , The University of British Columbia.p.62

(٤٤) فخر الدين الرازى (٢٠٠٢) يسألونك عن الروح، سبق ذكره . ص ٥.

(٤٥) على عبد التوب على ، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)،الأدب اللاتينى، سبق ذكره، ص ٣٠٤ .

بعد الموت، والحق أن هذه الغاية لا تهدف إلى تحقيق سيادة الإنسان على الطبيعة وهيمنته عليها، وإنما تهدف إلى راحة النفس وسكينتها، وأن يتخلص الإنسان من قلق النفس واضطرابها، الناجمة عن خشيته من عقاب الآلهة وعذاب الروح فى العالم الآخر. (٤٦) والحق أن لوكريتيوس قد نقل ذلك الرأي من إبيقوروس الذى يقول:

..... , ἡ δὲ
ἀταραξία τὸ τούτων πάντων ἀπολελύσθαι καὶ συνεχῆ
μνήμην ἔχειν τῶν ὅλων καὶ κυριοτάτων.
(Epicur.,La Lettre d' Epicure a Herodote .81)

" إن راحة النفس لا تتحقق إلا بالتجرد من الخوف

وبشرط أن يحفظ فى ذاكراتنا المبادىء العامة للإشياء "

ولقد حاول لوكريتيوس جاهدًا أن يثبت فناء الروح، وذكر العديد من الإشارات التى تؤكد رؤيته هذه، نذكر منها الآتى:

ergo dissolui quoque convenit omnem animai
naturam, ceu fumus, in altas aeris auras;
(Lucr., DRN 3. 455-456)

"وعلى هذا (فبموت الإنسان) فإن كل طبيعة الروح تتحلل

وتتطاير كالدخان، وسط تيارات الهواء العالية"(٤٧)

conturbare animam consuevit corpore in ipso?
at quaecumque queunt conturbari inque perdiri.
significant, paulo si durior insinuarit
(Lucr., DRN 3. 483-485)

" قد اعتادت أن تربك الروح وهى لا تزال حبيسة داخل الجسد نفسه؟

(٤٦) أبيقور (٢٠٠٩) الرسائل والحكم ، سبق ذكره . ص٤١.

(٤٧) حول نفس المعنى راجع: *Lucr., DRN 3.574-590.*

لكن عندما تكون الأشياء قابلة للارتباك والاحتجاز

فهذه دلالة على أنها ستفنى وأنها ستفقد حياتها فى المستقبل"(٤٨)

scinditur atqui animae haec quoniam natura nec uno
tempore sincera existit, mortalis habendast.
(Lucr., DRN 3. 531-532)

"وبما أن طبيعة(مادة) الروح تتفتت على هذا النحو، ولا تخرج

كلها فى آن واحد، فإنه يجب أن تعرف أنها فانية."

mortalem tamen esse animam fateare necesse,
(Lucr., DRN 3. 543)

"وكذلك يجب عليك أن تعرف أن بموت (الإنسان) تصبح (الروح) فانية"

ومن خلال بعض الإشارت السابقة عن فناء الروح وتبديدها وتطايرها فى الهواء نجد أنها مقتبسة تماماً من أقوال إبيقوروس الآتية:

τὸ δὲ λοιπὸν ἄθροισμα ... οὐκ ἔχει τὴν αἴσθησιν
ἐκείνου ἀπηλλαγμένου, ὅσον ποτὲ ἐστὶ τὸ συντεῖνον
τῶν ἀτόμων πλῆθος εἰς τὴν τῆς ψυχῆς φύσιν.
(Epicur.,La Lettre d' Epicure a Herodote .65)

"بخروج باقى (ذرات الروح) لا يملك أى شخص

أى أحساس إذ إنه يتبدد (يفنى) وكذلك كل شئ يكون قد تبدد (فنى)

إذ تحللت الذرات المكونة لجوهر الروح. "

ἡ ψυχὴ σῶμα ... προσεμφερέστατον δὲ πνεύματι
θερμοῦ τινα κρᾶσιν ἔχοντι καὶ πῇ μὲν τούτῳ

(٤٨) لوكريتيوس: " فى طبيعة الأشياء " سبق ذكره . ص٢٧٤.

προσεμφερές , πῆ δὲ τούτῳ . ἔστι δὲ τὸ μέρος πολλὴν παραλλαγὴν εἰληφὸς τῆ λεπτομερεία καὶ αὐτῶν τούτων, συμπαθὲς δὲ τούτω μᾶλλον καὶ τῷ λοιπῷ ἀθροίσματι.

(Epicur.,La Lettre d' Epicure a Herodote .63)

" تمتزج الروح بدرجة كبيرة جداً بحرارة الجسد

وتجذب الهواء معها بدرجة كبيرة أيضًا، وبهذه (الروح) توجد ذرات،

تتحرك هذه الذرات الصغيرة جداً (رقيقة جداً) بسرعة كبيرة

وهى تتبدد عند خروجها (من الجسد)،

ولا يبقى منها أى شئ أبدًا (تصبح فاقدة للإحساس)"

والروح في نظر إبيقوروس جسم حار لطيف للغاية تكمن فيه جميع القوى ولكن لا يكون إحساسا إلاّ إذا ارتبطت الروح بالجسد، فهو الذي يتيح لها أن تمارس قدرتها على الإحساس كما أنها بالمقابل هي التي تجعله حساسًا فإنْ تفرّق شملهما تبددت الروح، إذ إنها تتكون معه وتنحل بانحلاله فهي إذن مادية وفانية. (٤٩)

ولقد حاول الباحث أن يعرف الدوافع والأسباب التى جعلت لوكريتيوس يؤكد رؤيته عن فناء الروح وعن دعوة البشر إلى عدم الخوف من الموت وهى:

اهتم لوكريتيوس اهتمامًا بالغًا بطرد المخاوف من عقل الإنسان، ومن الموت وبسبب ما قيل عن العقاب بعد الموت، وكان هذا الخوف يمثل أكبر منغص لحياة الإنسان ومضيع لسعادته، فإذا ذهب الخوف تخلصنا من أكبر عائق يعوق سعادة الإنسان، ولا وسيلة إلى إزالة هذا الخوف إلا بدراسة الطبيعة وفهم نواميسها، ولهذا

(٤٩)*Peter. A.,(1997) op.cit .p.183., Shirley .M.L.D.,(1968) op cit.p.47.*

يجب على الإنسان بعد أن يتحرر من الخوف من الموت أن يعيش سعيدًا بقدر ما تطيق حياته القصيرة على الأرض.(٥٠)

فالموت ليس شرًا في حد ذاته ولا هو مؤلم كما يعتقد البعض، فالموت طبقًا لنظرية الإحساس ليس شرًا لأنه انعدام للإحساس فهو النهاية الطبيعية والحتمية لكل الأشياء.(٥١)

والفكرة السائدة للإبيقورية هي التحرر من الخوف من الآلهة فشبح الموت قائم رغم كل شيء لأنه حقيقة لا يمكن تجاهلها ولأنه الواقع الوحيد الذى يمكن اعتباره مصيرًا محتومًا لكل كائن حي، ولقد أوضح لوكريتيوس أن خشية الموت هي أصل كل الانفعالات السيئة وكل الرغبات الدنيئة كالحسد والبخل وغيرها.(٥٢)

كان هدف لوكريتيوس أن يخلص النفس البشرية مما يحيط بها من مخاوف ما وراء الطبيعة وهى ثلاث: الخوف من الآلهة، والخوف من الموت، والخوف من الجحيم أي ما بعد الموت، إن خوف الإنسان من الموت جعله يرغب في الخلود ولا يهتم بالأعوام الماضية التي يعيشها ولكنه يرغب في العيش إلى الأبد ويخشى الرجوع إلى العدم، ذلك العدم الذى سبق وجودنا(٥٣)

---

(٥٠) جيمس. ب. كارس، (١٩٩٨) الموت والوجود. دراسة لتصورات الفناء الإنساني في التراث الديني والفلسفي العالمي، ترجمة : بدر الديب ، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة، القاهرة. ص٤١٢.

(٥١) دوغلاس.ج. ديفيس (٢٠١٤) الوجيز في تاريخ الموت، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق. ص١٣٩.

(52) *Lucretius, De Rerum Natura.3 .31.,Monica. R. G., (2008) Oxford Reading in Classical Studies Lucretius. Oxford University Press. New York. P.35.*

(53) *Gale.M., (2001) Lucretius and the Didactic Epic. London Bristol Classical Press.p.129; cf.also,*

جيمس .ب. كارس، (١٩٩٨) الموت والوجود ، سبق ذكره .٤١٤.

وبهذا لا مجال للخوف من الموت وللرعب الذى تحدثه فينا فكرة العدم ما دام الموت لا شيء بالنسبة للأحياء أو للأموات، وما دام الطمع في الخلود طمعًا زائفًا ولا طائل منه لاسيما أن الخلود ليس شرطًا ضروريًا للسعادة، بل لو كان الخلود ممكنًا لكان سببًا للألم والحزن أكثر منه للذة والسعادة.(٥٤)

إن الموت في رأى لوكريتيوس راحة وأمان للبشر، لكن لَمنْ من البشر، إنه راحة وأمان لمن كان حقًا شيخًا طاعنًا في السن.(٥٥) كما أن فكره عن هلاك الروح بعد الموت لأنها تقضى على كل خوف جنوني من الموت ومم يخاف المرء بعد الموت إذا كان يفنى جسدًا وروحًا؟(٥٦)

الروح في الإنسان كالوسيط فيما بينها وبين العالم المادي وذلك من خلال الحواس الخمس، كما أن الروح هي التي تجعل خلايا الجسد حيّة وهي التي تجعل القلب ينبض، وبهذا فإن كل الإحساسات صادقة في حد ذاتها.(٥٧) وفى هذا الشأن يقول لوكريتيوس:

sic animas intro duxerunt sensibus auctas.
at neque sorsum oculi neque nares nec manus ipsa
esse potest animae neque sorsum lingua, neque aures
auditu per se possunt sentire ncque esse.
Et quoniam toto sentimus corpore inesse
vitalem sensum et totum esse animale videmus,
si subito medium celeri praeciderit ictu
vis aliqua ut sorsum partem secernat utramque,
dispertita procul dubio quoque vis animai

(54) *Englert. W., (2003) Lucretius, On the Nature of things.Newburyport Mass. Focus.pp.133-134;Gillespie.S., Hardie. P., (2007) The Cambridge Companion to Lucretius. Cambridge.p.66.*

(٥٥) لوكريتيوس: " فى طبيعة الأشياء "، سبق ذكره . ص٤٤.

(٥٥) أحمد عتمان(١٩٨٩)الأدب اللاتيني ودوره الحضاري حتى نهاية العصر الذهبي،عالم المعرفة، العدد١٤١ الكويت. ص ١٣٩.

(٥٧)جيمس. ب. كارس (١٩٩٨) الموت والوجود ، سبق ذكره ، ص٦٢.

et discissa simul cum corpore dissicietur.
at quod scinditur et partis discedit in ullas,
scilicet aternam sibi naturam abnuit esse .
(Lucr., DRN 3. 630-641)

" وهكذا إذا كانت الأرواح مزودة بالحواس.
ولكن العيون والأنوف والأيدي ذاتها لا تستطيع الحفاظ
على وجودها بمعزل عن الروح، ولا يمكن للسان النطق ولا
الآذان السمع؛ وكذلك فإن الروح – بمعزل عن الجسد –
لا يمكن أن تكون لها حواس ولا تتمكن من الوجود.
وحيث إننا نشعر أن الإحساس منتشر في كل أنحاء الجسد،
ونرى أن الجسد كله ينبض بالحياة،
فلو أن قوة ما قطعت الجسد من المنتصف بضربة حادة
مباغتة حيث تفصل كل جزء عن الآخر،
فلا ريب أن طبيعة (مادة) الروح تتمزق إربا هي الأخرى،
وتنشطر إلى نصفين مع الجسد،
لكن الشيء الذي ينفصل وينشطر إلى أجزاء
كفيل بدحض الادعاء بأن طبيعة الروح خالدة. "(٥٨)

يؤكد لوكريتيوس أن حواس الإنسان وكذلك روحه تنقل له الواقع بكل صدق وأمانة وأنها غير مسئولة عن الأخطاء والأوهام التي يقع فيها الإنسان. فكل ما يُدرك هو حق وواقع ولا يوجد فرق بين القول إن شيئاً ما حقيقي وبين القول إن هذا الشيء

(٥٨) لوكريتيوس: " فى طبيعة الأشياء "، سبق ذكره . ص٢٨٢-٢٨٣.
وحول نفس المعنى راجع :
Lucretius, De Rerum Natura .3.664-671; 3. 686-700.

موجود، فالشيء الحقيقي هو الشيء الموجود والشيء الخاطئ هو الشيء غير الموجود.[٥٩]

هنا يتضح تأكيد لوكريتيوس على نظرية الإحساس عند إبيقوروس وهو أنه من المستحيل أن يشكك في حواسه التي تنقل له الواقع بكل صدق وأمانة فالحواس هي أدوات الإدراك، والإحساس يتولَّد عند تلامس اثنين هما الحاس والمحسوس، سواءً أكانت هذه الأحاسيس لمسية أم تذوقية أم بصرية أم سمعية، ولا يمكن للإحساس أن يخطأ أبدًا إذ إنه يقوم على إدراك مباشر للواقع. فالحواس هي أصدق ما نثق به والشك في الحواس عبث إذ كيف سنشك فيها وكيف سندحضها؟ إن كان ذلك بالعقل فالأمر غير ممكن لأن الإحساس سابق على العقل والعقل تابع له، وعليه فالأحاسيس صادقة في حد ذاتها. ويتساءل أيضاً عن أي شهادة تستحق ثقتنا أكثر من شهادة الحواس؟ إذ لو كانت الحواس تخدعنا فهل سيشهد العقل ضدها وهو الصادر عنها؟ ثم لو فرضنا أنها خادعة فإن العقل سيصبح كاذبًا بدوره، وهل للسمع أن يصحح البصر أو اللمس أو السمع؟ وهل يمكن للتذوق أن يكذب اللمس؟ أم أن الشم هو الذي سيكذب الحواس الأخرى؟ أم هما العينان؟[٦٠]

وطبيعة العقل والروح مادية لأنه عندما نلاحظها وهي تحرك الأطراف أثناء النوم وتوقظ الجسم من النوم فإن ذلك يحدث بدون لمس الجسد، ولهذا فإن العقل والنفس مصنوعين من طبيعة مادية، يضاف إلى ذلك إذا أصيب الجسد بآلة حادة وقطع وحدث إغماء وارتماء على الأرض واضطراب عقلي، وفى نفس الوقت إرادة في

(٥٩)أبيقور (٢٠٠٩) الرسائل والحكم ، سبق ذكره . ص٤٥. وراجع أيضاً:
Smith. M. F., (2001) Lucretius, On the Nature of things Cambridge.p.97.

(٦٠) أبيقور (٢٠٠٩) الرسائل والحكم، سبق ذكره . ص٤٧.

النهوض من داخله بهذا تكون طبيعة العقل مادية لأنه تنقبض لضربات أسلحة جسدية:(٦١)

Praeterea si inmortalis natura animaist
et sentire potest secreta a corpore nostro,
quinque, ut opinor, eam faciundum est sensibus
auctam; (Lucr., DRN 3. 624-626)

"علاوة على ذلك، لو أن طبيعة الروح كانت خالدة

وكان بمقدورها الإحساس بعد انفصالها عن أجسادنا،

لكان علينا، كما أعتقد، أن نزعم أنها مزودة بالحواس الخمس،" (٦٢)

فبعد فناء الروح والفقدان المطلق للجسد من كل إحساس وتحليله كليًا ولأن ما يتحلل يصبح غير قادر على الإحساس ولأن ما لا يُحس هو لا شيء بالنسبة لنا فكذلك الموت لا شيء بالنسبة لنا.

ويؤكد على فناء الروح فى قوله:

quapropter neque natali privata videtur
esse die natura animae nec funeris expers.
Semina praeterea linquontur necne animai
corpore in exanimo? quod si lincuntur et insunt,
haut erit ut merito inmortalis possit haberi,
partibus amissis quoniam libata recessit.
(Lucr., DRN 3. 711-716)

وعلى ذلك فإن مادة الروح تبدو أن لها يوم ميلاد

خاص، كما أنها ليست معفاة من الموت.

علاوة على ذلك، هل تبقى ذرات الروح في جسد

(61) *Warren. J., (2004) Facing Death: Epicurus and His Critics. Oxford.p.169; cf. also.* أبيقور (١٩٩٤) مؤسس المدرسة الأبيقورية، سبق ذكره . ص ١٠٦ .

(٦٢) لوكريتوس: " فى طبيعة الأشياء " ، سبق ذكره . ص ٢٨٢.

الميت أم لا؟ لو أن بعضها يبقى ويظل موجودًا بالجسد
لأصبح من المستحيل تمامًا الاعتقاد في خلودها،
حيث إنها ترحل بعد تضاؤلها نظرًا لفقدها بعض أجزائها. "(٦٣)

يقول على عبد التواب بالرغم من أن لوكرتيوس أظهر على نحو علمي فناء الروح وأن كل الحواس تتوقف عن العمل بعد الموت، فإنه يدرك أن هذا غير كافٍ ليتخلص الإنسان من الحزن على ترك الحياة، ولكى يقنع القارئ فإنه يجعل الطبيعة ذاتها تتحدث فى نهاية الكتاب الثالث مخاطبة البشرية :

" لو أن الحياة الفائتة ممتلئة بالبهجة فإن المرء قد ينسحب
منها وكأنه ضيف قد شبع واستكفى بعد وليمة .
على أية حال فإن كانت الحياة تتسم بالحزن والهم ،
فلماذا يرغب المرء فى استمرارها؟ الحمقى فقط
يرجون استمرار العيش بأى ثمن ، بالرغم من أنه لاشىء
جديد فى انتظارهم ، حيث إن كل شىء يسير على نفس المنوال "

وبهذا فإن بناء ملحمة "فى طبيعة الأشياء" يتجة بشكل عام من الطبيعة إلى الإنسان، ومن التجانس إلى التنافر، ومن التكاثر والاذدهار إلى الموت والفناء." (٦٤)

بالرغم من تأثر لوكريتيوس بالمذهب الإبيقوري إلا أنه استطاع ببراعة فائقة أن ينظم مضمونه الفلسفي التعليمي في قصيدة من الشعر، وهذا هو ماجعله يلقى إعجابًا مستمرًا. بل وهناك من يرى أنه من أجمل الأعمال التعليمية.(٦٥)

---

(٦٣) لوكريتوس: " فى طبيعة الأشياء " ، سبق ذكره. ص٢٨٧. حول نفس المعنى راجع :
Lucretius, D R N .3.747-749; 3.758-762;769-775.

(٦٤) على عبد التوب على ، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، الأدب اللاتينى ، سبق ذكره ، ص ٣٠٥ ، ٣١٧. وكذلك راجع :*Lucretius, D R N .3. 940-945.*

كانت الفلسفة الإبيقورية تهتم بالعلوم الطبيعية وتوظيفها في خدمة المبادئ الأخلاقية، وليس الدين أو العقائد. ولقد ظلت مبادئ الأخلاق الإبيقورية قائمة، مثلما ظلت مبادئ الأخلاق الرواقية، حتى بعد زوال أصحابها ذاتهم حتى القرن الثاني الميلادي. وظلت الفلسفة الإبيقورية منتشرة بفضل المحافظة عليها من خلال قصيدة لوكريتيوس الخالدة " في طبيعة الأشياء "، ولكن تبرير لوكريتيوس لاستخدام الشعر في مجال الفلسفة هو أن الشعر يشبه الدواء للروح، وأن ما يبعثه الشعر في الروح من بهجة يشبه ما يبعثه الدواء في الجسد، فالشعر مثل عسل النحل الذى يدهن الأطباء به حافة الكأس الذى يحمل الدواء المرَّ إلى فم الطفل المريض.(٦٦)

ومن الملاحظ عند قراءة قصيدة "في طبيعة الأشياء" أنه لا يوجد سوى إشارات نادرة إلى المناقشات التي كانت تدور بين أتباع المذهب الرواقي وأتباع المذهب الإبيقوري حول المنهج العلمي، ومن الواضح أن لوكريتيوس لم يكن يهتم بمثل هذه المناقشات.

والحق أنه لم ينظم أحد من الشعراء الرومان قبله شعرًا دفاعًا عن المذهب الإبيقوري، وربما أنه أول من نظم شعرًا فلسفيًا باللغة اللاتينية.(٦٧)

بالرغم من أن شيشرون قد تكفل بنشر عمل لوكريتيوس " فى طبيعة الأشياء" إلا أنه لم يشاركه آرائه الفلسفية ، بل إنه هاجم الإبيقورية هجومًا عنيفًا فى مقالاته الفلسفية ،

(65) *Daniel. M., (2008) The Rhetoric of Explanation in Lucretius' De Rerom Natura. Brill .Leiden Boston. P.24.,Francesco. M., (2012) Lucretius and His Sources.A study of Lucretius, De Rerum Natura. 1. Berlin. Boston.p.57.*

(٦٦) لوكريتيوس: " فى طبيعة الأشياء "، سبق ذكره . ص ٩٠.

(٦٧)عثمان أمين، (١٩٤٥) الفلسفة الرواقية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة . ص٦٢.

ولعل الإطار الشعرى غير المألوف فى عرض الأفكار الإبيقورية هو ما جعل هذا العمل فريدًا وهو الذى حث شيشرون أن ينشر عمل لوكريتيوس. [٦٨]

النتائج المستخلصة من البحث:

- يقول الحق سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)[٦٩] إذن فالروح من أمر الله وهو وحده الذى يعلم سرها وتكوينها

وعلى هذا فإن رؤية لوكريتيوس للروح وتصوره عنها هى محض تفكير واجتهاد منه فرؤيته لها كانت عما يدور بمخيلته، وتصوره عن وصف الروح وتكوينها ومكانها فى جسد الإنسان وخروجها وانتشارها فى الهواء بعد خروجها من الجسد وفنائها كل هذه التصورات مستمدة من معلمه إبيقوروس كما وضح من بعض إشارات إيبقوروس اليوناينة.

- الروح عند لوكريتيوس ذات طبيعة مادية مثل أي عضو من أعضاء الجسم ومن ثم إمكانية تعرضها للمرض وإمكانية علاجها منه. ولأنها تتكون من ذرات كالجسد، فهي تفنى بموت الجسد.
- الروح هي الأساس في الإنسان وما الجسد إلا ثوبًا لها ترتديه، وارتباط الروح بالجسم هو الذي يمكنها من أداء مهمتها، وعندما تنعدم هذه الصلة تتحلل الروح وتتلاشى وتتفرق ذراتها.

---

(٦٨) على عبد التوب على ، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، الأدب اللاتينى ، سبق ذكره ، ص ٢٩٩ .

(٦٩) سورة الإسراء ،الآية ٨٥

- وظف لوكريتيوس تناوله لموضوع الروح لينفى نفيًا تامًا فكرة البعث والحساب والعقاب بعد الموت، وهي من الأفكار التي كانت تؤرق الكثير من الرومان وتقض مضاجعهم، والتي كانت تبثها أساطير العذاب الأبدي.
- كان لوكريتيوس واضحًا فيما يتعلق بهدفه التعليمي، فهو يريد أن يحرر الناس من الخوف من الآلهة ومن الموت ومن العقاب فيما بعد الموت، وكان يريد أن يجعل الناس تدرك أن كل الأشياء إن هي إلا أمور طبيعية ومؤقته.
- كان هدف لوكريتيوس محدد من نظم القصيدة فطبقاً له كانت الشرور التي أصابت المجتمع الفاسد سببها الاعتقاد في الخرافات والخوف من الآلهة والذى بسببه يشعر الناس التعساء أنهم غير قادرين على النضال من أجل صالحهم العام. لقد كان لوكريتيوس مقتنعًا أنه إذا ما اجتثت هذه الشرور انفتحت أمام الشعب أبواب المستقبل السعيد ولهذا الغرض كتب الشاعر قصيدته، وكان كل همه أن يخلص البشرية من الأفكار الدينية التي تفسد عليهم التمتع بحياتهم الدنيا.
- يتضح من البحث مدى التزام لوكريتيوس في نقل تعاليم معلمه وملهمه إبيقوروس، وذلك رغم قلة الشذرات التي وصلتنا منه في موضوع الروح.
- بالرغم من تبنى لوكريتيوس للمذهب الإبيقوري، الذى يرفض الشعر لارتباطه بالأساطير، إلا أنه استطاع ببراعة فائقة أن ينظم مضمونه الفلسفي التعليمي في قصيدة من الشعر، وهذا هو ماجعله يلقى إعجابًا مستمرًا، حتى من أعداء الإبيقورية مثل شيشرون.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية:

القرآن الكريم

ثانياً:المصادر الأجنبية:

Epicurus., (1971) La Lettre d Epicure [a Herodote] edd. J .Bollack ., M . Bollack., and H . Wismann (Paris : Editiions de Minuit)

Epicurea.,(1963) ed . H .Usener (Rome: L Erma)

Lucretius., (1953) De Rerum Natura. Withan English Translation by. W. H. D. Rouse., L. C. L. London .

ثالثاً :المراجع الأجنبية:

Barrow.R.H.,(1960) The Romans . London.

Brown. P. M., (1997) Lucretius, De Rerum Natura III. Warminster.Aris and Philips.

Clay. D., (1983) Lucretius and Epicurs.Cornell University press and London.

Colman.J., (2006) Science and Poetry.A study of Lucretius, on the Nature of things.Boston College.

Daniel. M., (2008) The Rhetoric of Explanation in Lucretius' De Rerom Natura. Brill .Leiden Boston.

Daryn.L., Morrison. A.D., Alison.S., (2013) Lucretius: Poetry, Philosophy, Science. Oxford University Press.

Dudley.D.R.,(1960) Civilization of Rome .London.

Englert.W., (2003) Lucretius, On the Nature of things. Newburyport Mass. Focus.

Festugiere ,R.,(1946) Epicure et ses dieux ,Paris ,P.U.F.

Francesco. M., (2012) Lucretius and His Sources.A study of Lucretius, De Rerum Natura. 1. Berlin. Boston.

Gain. D. B., (1969) "The Life and Death of Lucreius" Latomus 28. pp. 545-553.

Gale. M., (2001) Lucretius and the Didactic Epic.London Bristol Classical Press.
Gale. M., (2007) Oxford Redings in Classical Studies. Lucretius. Oxford.

Gillespie.S., Hardie. P., (2007) The Cambridge Companion to Lucretius. Cambridge.

Goodwin. J., (2004) Lucretius. London: Bristol Classical Press.

Hadzsits.G.D.,(2006) Lucretius and His Influence. Lighting source incorporated. London.

Hutchinson.G.,(2001)"The Date of De Rerum Natura.CQ". 51. pp. 150-162.

Jacques. L., and Liza. B., (2016) Lucretius and Modernity Epicuream Encounteros Across Time and Disciplines. New York.
James. J.O., (2007) Inconsistency in Roman Epic Studies in Catullus, Lucretius,Vergil, Ovid and Lucan. Cambridge University press.

Johnson. W. R., (2000) Lucretius and The Modern World. London

Martin.F.S.,(2001)Lucretius on the Nature of Things. Translated, with Introduction and Notes.By. Martin. F.S., London.
Matthew .S. P. J., Metaphor and Argumentation in Lucretius. Diss. Royal Holloward University of London .

Nussbaum. M.C.,(1990) "Mortal, immortal, Lucretius on Death and the voice of Nature" philology and phenomenological Research. pp. 303-351.

O'Keefe. T., (2005) Epicurus on Freedom. Cambridge.

Peter. A.,(1997) Lucretius and the Fears of Death . Diss. Cornell University .

Shirley .M.L.D.,(1968) Democritus and Epicurus : Soul, Thought, and Theory of Knowledge , The University of British Columbia.

Smith. M. F., (2001) Lucretius, On the Nature of things Cambridge.

Warren. J., (2004) Facing Death: Epicurus and His Critics. Oxford.

رابعاً :المراجع العربية:

ابن قيم الجوزية (٢٠١٢) كتاب الروح، حققه: محمد أجمل أيوب الإصلاحى، دار عالم الفؤاد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى.

أبيقور (٢٠٠٩) الرسائل والحكم، دراسة وترجمة: جلال الدين سعيد، الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان

أبيقور (١٩٩٤) مؤسس المدرسة الأبيقورية، إعداد: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

أحمد عتمان،(١٩٨٩)الأدب اللاتينى ودروه الحضاربحتى نهاية العصر الذهبى،عالم المعرفة ، العدد١٤١ الكويت.

جيمس. ب. كارس (١٩٩٨) الموت والوجود. دراسة لتصورات الفناء الإنسانى فى التراث الدينى والفلسفى العالمى، ترجمة: بدر الديب المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة ،القاهرة .

دوغلاس.ج. ديفيس،(٢٠١٤) الوجيز فى تاريخ الموت ،ترجمة : محمود منقذ الهاشمى ،الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق.

دف.ج.و،(١٩٦٤) تاريخ الأدب الرومانى، ترجمة: محمد سليم سالم، راجعه:محمد صقر خفاجة ، مركز كتب الشرق الأوسط .ج٢ .

عبد العظيم محمد أحمد عبد الكريم،(١٩٨٢) الأدب الرومانى من البداية حتى نهاية عصر شيشرون ،القاهرة (مكان النشر؟)

عثمان أمين، (١٩٤٥) الفلسفة الرواقية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

على عبد التوب على ، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، الأدب اللاتينى فى عصرى الجمهورية وصدر الإمبراطورية . قراءة فى الأجناس الأدبية ، القاهرة

فخرالدين الرازى ،(٢٠٠٢) يسألونك عن الروح ، دراسة وتحقيق: محمد عبد العزيز الهلاوى ، مكتبة القرآن ،القاهرة .

لوكريتوس،(٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء، ترجمة: على عبد التواب على (وآخرون)؛ صلاح رمضان السيد، سيد أحمد صادق، مراجعة وتقديم: عبد المعطى أحمد شعراوى، المركز القومى للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى.